مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 07/ العـدد: 01/ جوان (2023)، ص.482/475

ثنائية الذّكورة والأنوثة بين الهيمنة والتّحرّر

- قراءة سوسيو ثقافيّة في رواية "قصيد في التذلّل" لطاهر وطار".

The duality of masculinity and femininity between domination and liberation

A socio-cultural reading of the novel "Kassid Fi Tathaloul" - .byTaherWatt*ar*

د برقادأحمد

ahmed.bergad@univ-dbkm.dz

جامعة جيلالي بونعامة- خميس مليانة.

(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/05/10 تاريخ القبول: 2022/05/22 تاريخ النشر: 2022/06/02

الملخص:

تسعى هذه الدّراسة إلى الوقوف على ثنائية الذّكورة والأنوثة في رواية (قصيد في التذلّل) لطّاهر وطّار، الدّاخلة في دائرة المفاضلة بين الجنسين بفعل المخزون الثّقافيّ للمجتمعات العربيّة- بما فيها الجزائريّ - والتي تُعلي من شأن الذّكورة، في مقابل التّقليل من حظوة الأنوثة.

توصّلنا بعد مقاربة نّص الرّواية في نطاقه الاجتماعيّ والثّقافيّ وقراءة ما خلف السّطور إلى أنّ الأنثى تحمل هموما ذات نطاق أوسع، وُجدت في أحايين كثيرة على الهامش؛بفعل هشاشة تكوينها الذّهني والنّفسي، وهيمنة الإرث الثّقافي الضّارب في جذور المجتمع. وأنّها تسعى جاهدة للتّمرد على واقعها الأليم.

كلمات مفتاحية: الذّكورة، الأنوثة ، الثّقافي، التمرّد، التّقاليد، المجتمع.

Abstract:

This study seeks to identify the dichotomy of masculinity and femininity in TaherWattar's novel,'Kassid Fi Tathaloul' which is implicated in the differentiation of sexuality due to the cultural stock of Arab societies - including

the Algerian - which upholds masculinity in exchange for diminishing femininity. After approaching the text of the novel in its social and cultural context and reading behind the lines, we concluded that the female carries wider concerns, which were often found on the sidelines; due to the fragility of its mental and psychological makeup, and the dominance of a striking cultural heritage in the roots of society. They are striving to rebel against their painful reality.

***Keywords**: Masculinity, femininity, cultural, rebellion, traditions, society*

مهاد:

قبل التّطرّق إلى موضوع "ثنائية الذّكورة والأنوثة بين الهيمنة والتّحرّر" في الرّواية مدار مقاربتنا، من العرف المنهجي الوقوف على مفهوم ثنائية (الذّكورة/الأنوثة)الذي أفرزته ثقافة الموروث الكامن في وعي المجتمع والمفضي إلى إعلاء شأن الذّكر وتكريس سطوته على الأنثى الخاضعة، مُكرّسة بذلك فكرة المفاضلة بين الجنسين تحت مسوّغ السّيادة والأفضلية للأقوى، أين تغدو الأنوثة رمزاللضّعف والتّبعية والانتقاص؛ الأمر الذي أحالها على الهامش الاجتماعي بعيدا عن أضواء المركز.

1- مفهوما الذّكورة والأنوثة:

2- 1-1-مفهوم الذّكورة:

لفظة الذّكورة مُشتقة من الجذر اللّغوي(ذكر)، والذّكر خلاف الأنثى، والجمع ذكورٌ وذكورةٌ، وهي مجموع الصّفات الخاصة بجنس الذّكور[1]. دلالات تكاد تُجمع عليها المعاجم العربيّة عليها، نورد منها على سبيل الذّكر لا الحصر ما جاء في(الوسيط): "الذّكر، جمع ذكورٌ، وذكورةٌ، وذكرانٌ، وذكارٌ، وذكارةٌ، وذِكرةٌ: الرّجل، وتقابله المرأة، والذّكر من الحديد: أيبسه، وأشدّه، وأجوده، فهو خلاف: الأنيث"[2].

كما نجد لفظا آخر يُدانيه في المعنى؛ لفظ (الفحل)، فقد جاء في (القاموس المحيط)" الفحل الذّكر من كلّ حيوان... ورجل فحيل: فحل ...وفحول الشّعر الغالبون بالهجاء من هاجاهم، وكذا كلّ من إذا عارض شاعرًا فضّل عليه."[3]، يتّضح من هذا التّعريف أنّ(الفحل) في قاموس النّقاد العرب القدامى يحيل على طبقة من طبقات الشّعراء، فقالوا متحدّثين عن مراتبهم: أوّلهم الفحل، وثانيهم الشّاعر المغْلق، وثالثهم الشاعر فقط، ورابعهم الشّعرور.

بينما اصطلاحا، فمفهومه يحيل على البعد البيولوجي المرتبط بالمظاهر والصّفات الجنسيّة الذّكورية، "كذكر خلقه اللّه تعالى بملامح فيزيقيّة بيولوجيّة، تميّزه عن الأنثى، كما ترتبط بالثّقافة الذّكورية والتي تحيل إلى الجانب الرّجولي، على الرّغم من أنّ مفهوم الرّجولة يأخذ بُعدا اجتماعيا بالدّرجة الأولى، تحديدا بالأدوار الاجتماعية التي يؤدّيها الرّجل"[4]. أي مرتبط بمواقفه وخصاله.

1-2- مفهوم الأنوثة:

(الأنوثة)المصطلحالمقابللمصطلح(الذّكورة) والتّابع له، وهو ما يوضع تحت القاعدة اللّغوية المسمّاة (التّغليب) أو (الحمل) التي تحمل الفرع على الأصل، فتصير الأنثى تابعا في البنية اللّغويّة، بحيث تكون" الذّكورة هي الأصل، والأنوثة هي الفرع، والأصل لا يحتاجإلى علامة، وإنّما الذي يحتاجها هو الفرع، معنى هذا أنّ(علامة التّأنيث)إشارة فرعيّة الأنثى"[5]، كقولنا:(عالم/ عالمة)، (ساجد/ساجدة)، ...إلخ.

والتّأنيث خلاف التّذكير، ويقال هذه امرأة أنثى، وإذا مُدحت بأنّها كاملة من النّساء"[6]، أي تكون جديرة بالمدح لأنوثتها وطيبتها ولطفها وليونتها في مقابل الرّجل المعروف بالشّدة والصّلابة. وعليه سُميّت الأرض بـ" مِئناثُ وأنيثةٌ: سهلةٌ مُنبتةٌ، خليقةٌ بالنّباتات، ليست بغليظة"[7]، الملاحظ أنّ معنى الأرض يتقاطع مع معنى الأنثى، فكلاهما يحيل على النّعومة والخصوبة، وهو ما يتناقض مع صفات الرّجل ويخالفها.

1ـ 3 ـ تركيب:

من الواضح أنّ التّعريفات السّابقة في تقديم مفهومي (الذّكورة)و(الأنوثة) استمدت مفاهيمها من البعد الفيزيولوجيّ والبيولوجيّ في وضع حدّ فاصل بين النّوعين، حدٌّ يتقاطع مع منظور علم النّفس، وهو ما ذهب إليه (فرويد)بقوله:" أنّ الحيوان المنوي نشيط، والبويضة مستقبِلة، والذكر يُطارد الأنثى بغاية التّواصل الجنسي" [8]. ولقصور هذه التّعريفات التي تجرّد الإنسان من آدميته؛ تطلّب الأمر إعمال الجانب المتعلّق بخاصية الوعي بالذّات والآخر وبالدّور اللّذين يقومان به في الحياة، لأنّه العلامة الفارقة بين عالم الحيوان وعالم الإنسان.

2- نسق الذّكورة والأنوثة في رواية(قصيد في التّذلل):

المتلقي لرواية "قصيد في التّذلّل" يخلص إلى أنّ الطّاهر وطّار استهدف رصد أزمة المُثقّف في علاقته بالسّلطة من خلال رمزية علاقة الشّاعر بالسّيد الكبير؛ جاعلا من هذه التيمة مركزا، كما هو معلن في عنوان الرّواية، إلّا أنّه في المقابل يكتشف نوعا آخر من التّسلّط في ثنايا المتن، بعضه مكشوف والبعض الآخر مضمر، يمكن وضعه في خانة مايُصطلح عليه "الأنساق الثّقافية"، تحديدا نسق علاقة الذّكورة بالأنوثة. وهو ما نرصد حيثياته من خلال العناصر الآتية:

2-1- هيمنة الذّكر / تهميش الأنثى:

2-1-1-نسق مصادرة الاختيار:

من بين تمظهرات هيمنة الذّكر على الأنثى مصادرة حقّها في الاختيار، وهو ما يستجليه (وطّار) رمزيا في سياق حوار جرى بين شخصية الشّاعر(الوافي) وزوجته (فجرية) حول اختيار اسم لابنتهما بعد زواجهما، أُسندت أفعاله إلى ضمير جمع المتكلّم(نحن)، ليكون المنجز مشتركا " نسمي ابنتنا مباشرة، دون خجل أو وجل، ماو أو لينين، ونسمي ابنتنا، أولغا. أو روزا، نخرج ألسنتنا في الرّجعيّة والبرجوازية"[9] ، إلّا أنّ المبادر بالتّلفظ هو الزّوج، ليغدو قرار اختيار التّسمية بيده وحده، فهي مجرّد متلقّ لم تعبّر عن رأيها، تحذو حذو زوجها، نلاحظ أنّ هذه البنيّة

النّصيّة للمقطع السّردي تضمر بنية نسقية ثقافية اجتماعية مرتبطة بأعراف وتقاليد بالية، تُعلي من مكانة الرّجل في مقابل تهميش دور المرأة في اتخاذ القرار على الرّغم من أنّها شريكته في البناء الأسري .

وبهذا يكون (الوافي) - الذّكر- قد جرّدها من حقّ المشاركة الفعليّة في اختيار اسم لمولودهما، وهو اختيار يتساوق ويذكّرنا بمخاطبة الشّاعر (نزار قباني) لمحبوبته: "إنّي خيرتك.. فاختاري"، والخطاب يدلّ في ظاهره على حالة من التّقدير والاحترام، ولكن سرعان ما يُفتضح مضمره حين يردفه بالقول "ما بين الموت على صدري أو فوق دفاتر أشعاري[10]، ليتّضح أنّ هامش الاختيار قد تمّ حصره بين أمرين؛ إمّا أن تموت على صدره أو فوق دفاتر أشعاره، وهذان الخياران - على الرّغم من اختلاف مكان الموت- واحد على الصدر والآخر على دفاتر الأشعار، إلّا أنّه في المحصّلة اختيار يؤول إلى موت واحد، وبالتّالي انكفاء اختيارها في مقابل سيادة اختياره.

من خلال التّموذجين؛ الأول المتعلّق بخطاب الرّجل (الوفي) لزوجته (فجرية) والمتعلّق باختيار اسم المولود، والثّاني المتعلّق بتخيير (نزار قبّاني) لمحبوبته لمكان موتها، يتّضح أنّ التّصور السّائد داخل المنظومة الاجتماعية تحديدا الأسرية يهمّش دور الأنثى في اتخاذ قرارات مهّمة تهمّ الأسرة على الرّغم من أنّها لبنة رئيسة في حبك نسيجها؛ إذ لم نقل نواتها.

2-1-2- نسق عقدة إنجاب الأنثى:

من بين الأنساق الثّقافية التي مازالت تشتغل في الخفاء وفي لاوعي المجتمع الشّرقي تفضيل الذّكر على الأنثى على الرّغم من وجود نصوص قرآنية حفظت للأنثى مكانتها وصانت حقوقها، وأنّ جنس المولود بأمر الخالق؛ مصداقا لقوله تعالى :﴿ لِلَّه مُلك السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض يَخْلُق ما يَشَاء يَهَب لِمَن يَشَاء إِنَاثًا ويَهب لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُم ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَل مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[11].

نسق وقف عليه وطّار من خلال ردّة فعل الشّاعر بعد عودته من لقائه بالسّيدالكبير، حيث" ثار في زوجته، عندما سمع بكاء ابنته، في الغرفة المجاورة، قلت لك مائة مرة، لا أريد أن أسمعها تبكي. ارضعيها أو اخنقيها أو ارميها من الشرفة. سأهّج من هذا البيت. ـ ما بك يا رجل؟ كلّ الأطفال يبكون. لقد انتهيت من إرضاعها للتّو. قالت ثمّ أسرعت نحو مريم، انحنت، تهدهدها. اغرورقت عيناها ثم امتلأتا، فلم تمنعهما."[12]، حتّى وإن كان ظاهر غضبه صراعه مع مسؤوله المباشر، فإنّ سلوكه هذا مع زوجته ينمّ عن قناعة متجذّرة أملتها ثقافة المجتمع الرّافض لازديان فراش الأسرة بمولود جنسه أنثى.

وفي السّياق نفسه؛ يسوق مشهدا تبنّت فيه والدة الشّاعر(الوافي) موقفا صريحا من ميلاد مريم، حيث ورد على لسان فجريّة: "منذ زيارة أمّه الأخيرة، ومنذ نعتتني بأمّ البنت، وأشارت إلى أنّها قد لا تكون ابنته، قائلة بخبث شديد: ـ العرق جبّاد. تشبه كثيراأمّها. ظهر انقلابه النّهائي لم يقل صراحة براحة، أنّه يريد ولدا ذكرا، أو أنّه يشكّ في، ولكنه، لا يتقرّب كثيرا من مريم... لا يحنّ إليها، ولا يحملها بين ذراعيه، إلا حين أمدّها له."[13]

المتمعّن في هذا المقطع السّردي الجوّانيّ التّابع من إحساس رهيب اكتوت به الكتّة(فجريّة) نتيجة نعتها بأمّ البنت، ناهيك عن القذف والتّشكيك في نسب حفيدتها (مريم)، وتأليب ابنها عليها، وهو ما استقرأته من سريرة زوجها دون

أن يصرّح بذلك. فعلى الرّغم من المسلّمة العلميّة القائلة بـ" أنّ الصّفات الوراثية مسؤوليتها تقع على عاتق الرّجل وحده،" إلّا أنّها لم تفلح في توعية الأذهان، وفشلت في إزالة نسق عقدة إنجاب البنات المستوحاة من مواريث الجاهلية وصنيعها التي مقتها اللّه عزّ وجلّ في قوله: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[14] من جهة، والمنافيّة للقيّم الإنسانية من جهة أخرى.

2-1-3- نسق تعدّد الزّوجات

من بين الأنساقالثقافية ذات البعد الاجتماعي ظاهرة تعدّد الزّوجات، الظّاهرة عرفتها مجتمعات الحضارات القديمة، كما شرّعتها الأديان السّماويّة، تواجدت في جميع البيئات؛ اليهوديّة والمسيحيّة عربيّة وغير عربيّة، بما فيها الشّريعة الإسلاميّة، التي أقرّها النّص القرآني في قوله تعالى:" وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا "[15].

هذه الظّاهرة نجدها معلنة نصّا على استحياء لورودها في ومضة سردية؛ جاءت في سياق تقديم شخصية (زينو نات)، الشّخصية اللّعوب الذي امتهنت عديد الحرف والأدوار ليتسنّى لها الهيمنة على من حولها من المسؤولين". يقول السّارد " زينو نات لديه أربع بيوت وأربع زوجات، ولديه أربع عشرة بنتا".[16]

المقطع على قصره، فإنّ مسبار النّقد الثّقافي يعتبره ذا دلالة نسقيّة، تعكس تواتر فكرة تعدّد الزّوجات منذ القِدم والتي مازالت إلى حدّ السّاعة ماثلة، إلّا أنّ تبنّيها اجتماعيا والمضي في تفعيلها صار سلبيا، بعدما حاد عن مقاصده الشّرعية، حيث أصبح مطيّة لقضاء الشّهوة الجنسية الجامحة من قبل الذّكر، وهو ما يمكن استقراؤه في المقطع بالنّظر إلى تركيبة شخصية (زينو نات) العقلية والثّقافية والنّفسية، أين صار التّعدّد نقمة، فزواجه من أربع نسوة وإنجابهن لأربع عشرة بنتا، أفرز حالة من اللامبالاة والتسيّب الأسريّ ، يجعله في خانة الكائن الذي يؤدّي وظيفة جنسية بيولوجية، ويبعده عن البعد الإنساني الذي هو العنصر الرّئيس في تركيبته.

2-1- 4- الجسد نسق ثقافيّ:

سجّل الجسد حضورا لافتا في رواية (قصيد في التّذلّل)كنسق ثقافيّ، ورد في عديد المشاهد الوصفية طالت شخصيات أنثويّة، أين ركّز السّارد على مشاهد وصفية مشحونة برغبات أيروسيّة، فضحت طبيعة علاقة الرّجل بالمرأة الظّاهرة توافقا، ولكن في باطنها توافق مبنيّ على المصلحة؛ يجعل من الأنثى مطّية لقضاء مآرب الذّكر ومتعته الجنسية باستغلال أنوثتها؛ تحديدا جسدها لظروفها القاسية.

وهو ما نلمسه في مطاوعة شخصية (بحراوية) ومجاراتها لشخصية(زينونات) وانصياعها له في ممارسة فعل(القوادة) المحرّم دينيا والمنبوذ أخلاقيّا. مُطاوعةٌ لا تنبع من هوسها الجنسيّ ولا حبّا في الشّخصيات النّافذة المتوافدة على فراشها، وإنّما انصياع يدخل في سياق البحث عمّا يسدّ حاجياتها المادية بعد تخلّي زوجها عنها وعن ابنتها[17]. وهو الأمر نفسه ينطّبق على شخصية كاتبة (السّيد الكبير) الذي اتخذها جزءا من ديكور مكتبه بإلحاق جسدها وطريقة تعريتها به، نستجلي ذلك في هذا المقطع السّردي الفاضح لرؤية الذّكر للأنثى "من نصفها الأعلى

بجاكيتة حمراء، وبقيت سرّتها المزدانة بوشم يمثّل فراشة طائرة، بين أسفل وأعلى السّرة وأسفلها قرابة الثّلاثة أصابع، من لحم أسمر يفيض لدونة".[18]

المتمعّن في مناطق التّوصيف يبدو أكثر إباحية، في غياب الحديث عن ذكائها وأدائها لوظيفتها، وكأنّها بهذا المفهوم مجرّد جسد لغواية الذّكور. وهو أيضا ما نجده ماثلا في ردّة فعل ممّن حضر إلى اجتماع (السّيد الكبير):" صباح الخير.. آنسة، قالها الجميع نهوضا وابتهاج ملحوظ. ـ صباح الخير. السّيد الكبير يطلب الأمين العام والسّيد مدير الثّقافة. قالت بفرنسية طليقة، وولت مستديرة برشاقة"[19]ـ فردُّ التّحية بصيغة الجمع (نهوض وابتهاج الجميع) يؤول إلى فكر ذكوري يقدّس الأنثى لجسدها لا لطاقاتها وانسانيتها.

من خلال هاتين العيّنتين السّرديتين المتخيّلتين واللّتين تعكسان رؤية الذّكر للأنثى، نستشف أنّ المجتمع الذّكوري يسعى لتقزيم دورها في المجتمع، وربط وجودها فيه بالوظيفة الأيروسية المشبعة بالرّغبة لدى السّواد الأعظم من الذّكور، وهي فكرة تنطوي على نسق منبثق من رؤية اجتماعية وثقافية تروم اقصاءها والتّقليل من شأنها.

لذا يمكن القول أنّ حضور الجسد في رواية (قصيد في التّذلّل) لم يكن حضورا للبذخ الجنسيّ، وإنّما حامل لأنساق ثقافيّة ارتبطت بمؤثّرات ثقافيّة تركت أثرا واضحا في تشكّلاته في الخطاب الرّوائي، أين أضحى الجسد يدّثر برداء ثقافيّ في العديد من الخطابات المعاصرة من منطلق أنّ " صلة الكاتب بما حوله من متغيّرات واقعية ومؤثّرات ثقافيّة ترك أثره الواضح على تشكّلات الجسد في الخطاب الرّوائي، فصار السّرد الجديد لا يرسم جسدا سرديا متخيّلا بقدر ما يعرض جسدا ثقافيّا مرئيا، ومن ثمّ يخضع الجسد في سلوكياته وتشكّلاته السّرديّة للمرجعيات والممارسات ولأنساق الثّقافية."[20]

2-2- نسق إثبات الذّات بين الانتقام والتّحرّر:

2-2 -1- نسق الانتقام والثّأر:

ظاهرتا الانتقام والثّأر تدخلان في طباع البشر، تحركّهما وتؤجّجهما العاطفة بغرض إعادة الاعتبار للذّات، بعدما تكون قد تعرّضت للتّجاهل والظّلم من الآخر، والأنثى جزء لا يتجزأ من المجتمع البشري، بل الأكثر التصاقا بهما لطبعها الحسّاس وسرعة التّأثر من جهة، ولعظمة كيدها من جهة أخرى، وردت في حقّها في صيغة الجمع المخاطب آية في قوله عزّ وجلّ: "إِنْ كَيْدُكُنَّ عَظِيم"[21]، حتّى ولو أنّ التّعميم غير جائز، كما نجد مقولة مستوحاة من المورث الشّعبي الجزائري تصبّ في السّياق نفسه، جاء فيها أنّه " إذا حلفْ فيك الرّاجل بات راقد، واذا حلفت فيك المرأة بات فاطنْ"، كناية عن فظاعة وعيد المرأة موازنة بوعيد الرّجل حين يُمسّ كبرياؤها.

ولأنّ الأنثى مخلوق ضعيف لا يملك قوّة ماديّة تستثمره في فعل الانتقام من الآخر الذّكر الباسط لهيمنته عليها، تلجأ إلى الثّأر المعنوي كبديل لإثبات ذاتها، محاولة القصاص منه جزاء رؤيته الضّيقة لوجودها، فهي توكّد أنّ " الجسد ليس كيانا فيزيائيا فقط وإنّما أيضا منبع للوعي والفكر والثّقافة[22]. يسوق السّارد في رواية "قصيد في التّذلّل" مشهدا رمزيا لحالة من حالات الانتقام، من خلال شخصية الفتاة(فجرية)التي قست الظّروف عليها، وجعلتها تنتقم من

والدها الذي أهملها رفقة والدتها، فكان العبث بشرفه وعدم صونهاله عزاءها بمعاشرة الرّجال، أورد السّارد على لسانها قولا:"المسألة بيني وبين أبي، الذي أقتله كل ليلة قبل أن أنام[23].

نستشف من هذا المقطع السّردي على قصره، نسقا ثقافيا مرتبطا بمكانة الشّرف والعرض في ثقافة المجتمعات العربية والقابعة في الوعي الجمعي، وهو ما يفسّر جرائم القتل بتهمة المساس بالشّرف بحقّ النّساء، جريمة كادت أن تحدّث في حقّ شخصية (بحراوية) بعدما فكّر زوجها المجاهد في قتلها. فجريمة القتل المقترفة تحت مسوّغ "الدّفاع عن الشّرف"،نادرا ما يُدان الذّكر فيها باعتباره المعتدي عليها، يُستثنى من العقاب على الرّغم من أنّه شريكها، ويتركها تواجه مصيرها لوحدها.

2-2-2- نسق التّحرّر والثّورة على المألوف:

غير بعيد عن الانتقام، نجد نسقا آخر، يتمثّل في نسق التمرّد كوسيلة للانتقام، فالأنثى حين تشعر بالإهمال وتجد نفسها على الهامش، تبحث لنفسها عن موقع في المركز، تقرّر الانعتاق من هيمنة الرّجل المدجّجة بالأعراف والتّقاليد فتلجأ إلى التّحرّر. يسوق وطّار مشهدا فيه الكثير من المعاناة جاء على لسان (وردة)التي خيّب زوجها المجاهد ظنّها، تقول في سياق تبرير انحرافها لابنتها (بحراوية):" قبل أن أظلمك ظلمت نفسي...هو أبوك يا بحراوية، انتظرته خمس سنوات بأيّامها ولياليها، واجهت إغراءات وتهديدات من طرف الجميع، مدنيين وعسكريين، أقارب وأباعد ...إلى أن عاد مع العائدين "[24]. ليرتمي بعد الاستقلال بين أحضان زوجة رجل حركي؛ سلوك يعكس هشاشة الفكر الذّكوري في تعامله مع قداسة رابطة الزواج التيتعتبر من أهم دعامات إنجاح العلاقات الاجتماعية في كلّ مجتمع وتماسكه.

المقطع يعكس حجم المعاناة الذي كابدته في غيابه، وممّا زاد الطّينة بلّة ارتماؤه بين أحضان عشيقة، والتي قيل أنّها زوجة حركي، لتنتقل من هذا الواقع المرّ بعد الاستقلال إلى واقع أشرس بامتهانها الرّقص في المناسبات. هنا يلمس القارئ تمرّدا على الأعراف والتّقاليد بحثا عن قُوتها وتوفير حاجيات ابنتها التي انتقلت إلى الجامع، تمرّد مستساغ إلى حدّ ما، لأنّه جاء في سياق تحقيق وجود ذاتها كأنثى، على الرّغم من أنّه جلب لها متاعب وصلت إلى درجة تفكير زوجها الرّجل المجاهد في قتلها. ليكون جهاده مطعونا في مصداقيته، لأنّ من قيم الجهاد الوفاء للقيّم.

في حين الشّخصية الثّانية حقيقية؛ شخصية المغنية الشّاوية (بقار حدّة) والتي خصّها بمقطع من أغانيها" اِنْدَوّرْ على عُمُـرْ جديدْ وبحراوية تَلبَسْ وَتْـزيدْ"[25]، أشار إلى هذه الشّخصية في هامش الصّفحة؛ مُعرّفا إيّاها للقارئ على أنّها "مغنيّة شعبيّة، من ضواحي (سوق اهراس)، ماتت متسوّلة رغم شهرتها". لو أقمنا موازنة بين الشّخصيتين؛ فإنّنا نجدهما يتقاسمان فعل التّمرد، فكانت النّتيجة واحدة؛ نبذ المجتمع لهما، حيث الأولى فقدت أسرتها، في حين الثّانية توفيت في وضع بائس[26]، من خلالهما ينقل (وطّار) نسقا ثقافيا مرتبطا باستهجان المجتمع تمرّد المرأة تحت أيّ مسوّغ حتى ولو كان تحت مظلّة الفنّ.

3- خاتمة

حاول وطّار تسريد الواقع الاجتماعي المرير الذي تعيشه المرأة الجزائرية عبر خطاب مشحون بصراع ثنائيّ القطب (الذّكورة/الأنوثة)؛ ناقلا سعي الذّكر إلى إخماد صوت الأنثى وإبقائها تحت هيمنته؛ مُستغلا التقاليد والأعراف الاجتماعية الطّافحة بالتّسلط والعنف والخيانة، في مقابل سعيها جاهدة إلى إثبات وجودها، رافضة بقاءها على الهامش، والتّظر إليها على أنّها جسد مجرّد من كينونته التفسيّة والذّهنية، يؤدي وظيفة الإنجاب والسّهر على راحته، متحدّية الموروث الثّقافي الكامن في وعي المجتمع الجزائري المنتصر للذّكر على حسابها.

- **قائمةالإحالات:**

1- ابن منظور، لسان العرب، بيروت لبنان، دار صادر، ج6، ط3، 1994م، ص37.
2- عصام نور الدّين، الوسيط، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص633.
3- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمود مسعود أحمد، المكتبة العصرية، بيروت، مادة فحل، ج3 2014، د.ط، 2014م.
4- ينظر: مروة عبد الله عامر، مفاهيم الذّكورة والرّجولة – دراسة في الأنثروبولوجية- مجلة البحث العلمي في الآداب، جامعة عين شمس، مصر، ع20، ج2، 2019م، ص570.
5- محمد عبد المطّلب، ذاكرة النّقد الأدبي، المجلس الأعلى للثّقافة، القاهرة، 2008م، ط2، ص94.
6 -ابن منظور، لسان العرب، ص146.
7- المصدر نفسه، ص146.
8- عبد المنعم الحنفي، المعجم الموسوعي للتّحليل النّفسي، مكتبة مدبولي، 1995م، ص 290 ،291.
9- الطّاهر وطّار، قصيد في التّذلّل، منشورات الفضاء الحرّ، الجزائر، 2010م، ص20.
10- نزار قبّاني، قصيدة إنّي خيرتك فاختاري.
11- سورة الشّورى، الآيتان: 50،49.
12- الرّواية، ص19.
13- الرّواية، ص20
14- سورة النّحل، الآية 58.
15- سورة النّساء، الآية 3.
16- الرّواية، ص65.
17- ينظر: الرّواية، ص77.
18 -الرّواية، ص65.
19- الرّواية، ص65.
20- أحمد علواني، الجسد بين المتخيّل السّردي والنّسق الثّقافي، دار التّابغة للطّبع والنّشر والتّوزيع التسلسلة: الرسائل الجامعية، ط1 ، مصر ،2019م، واجهة الكتاب.
21- سورة يوسف، الآية 28.
22- ينظر: سمية بيدوح، فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوز يع، لبنان، 2019م ، ص12.
23- الرّواية، ص 77 .
24- الرّواية، ص 77.
25- الرّواية، ص 76.
26- الرّواية، ص77.